الطعام الأخير

تأليف
وجود

مصدر هذه المادة:

إهداء

إلى من عرفتها مربية مســـــئولة.. تنظر إلى طالباتها كطاقـات بشـرية مخزونـة.. لا تفتأ تحـــاول اكتشـــافها واســـتغلالها لخدمة الدين والأمة..

إلى معلمتي التي وجهت قلمي الضعيف عبر حصص مادة التعبير الأسبوعية.. وقادته إلى طريق الحق والفضيلة..

إلى «عبير»..

مع صادق تقديري وامتناني..

الطعام الأخير

بقلق..

مضت نحو المطبخ..

وبخوف..

أخذت تبحث عما تحتاجه لإعـداد طعامها المفضل..

لكن..

ومع انهماكها في العمل..

بعـثرت المتعة مشـاعر القلق والخـوف في داخلها.. فلم يعد لهما أي أثر..

الطعام الأخير

صوت أذان المغرب وحـده.. هو ما نبهها من هواجس متصلـة منذ أدت فريضة صـلاة العصر..

بجهد كبـير.. نهضت متوجهة إلى القبلـة، ودمعـات هادئة تشق طريقها خلال خـديها الأجعدين..

أنهت الفريضة وسنتها.. ثم عـادت لتأخذ وضعها السـابق كما هي عادتها دائمًـا.. إذ لا شيء يمكنها أن تفعله إلا ما يسـتحيل منعها منه..

رتابة حمله تلك التي تُقيدها..

وفراغ قاس ذلك الذي يحيط بها..

لا عمل..

لا زيارات..

ولا حتى مجرد حديث ودي صادق!..

ترى؟!!

أي ضـرر كـان سـيحدث لو أنها رافقتهم في نزهتهم البرية.. حتى لو تطلب الأمر أن تظل وحدها في السيارة.. وتترك لهم حرية الجلوس بمفردهم..

كم تشـتاق لرؤية شـمس الخلاء الصافية.. والتمتع بنسمات هوائه النقية..

يقول الجميع إن البراري اكتست بوشـاح أخضر جميل بعد موسم الأمطار الغزير هذا العام..

لكنها هي وحـــدها من لم تـــر.. واكتفت بالسماع والتخيل..

يتتابع رنين الهاتف بإصــرار.. فتنهض في مشــقة نحــوه لتجيب.. وتســعد بالصــوت القديم..

من؟!!

أم سالم!

- نعم.. أم سالم.

- أهلاً وسهلاً ومرحبًا..

كيف حالك؟. وكيف حال الأولاد؟

- بخير ولله الحمد..

كيف حالك أنت؟.. وكيف حـــــــال خالد وأولاده؟

- بخير من الله ونعمة..

لكن أخبريني يا أم سالم؟؟

أين كنت طوال هذه الفـترة؟!! شـهران لا أسمع لك صوتًا!

- كنت في زيارة طويلة لابني عبد الله..

- ما شاء الله..

أكنت عند عبد الله؟!

- نعم..

وعندما أردت العـودة.. أصر على أخـذي للعمـرة حيث بقينا هنـاك لأسـبوع.. ثم جـاء بي هنا عند سالم.

- أو اعتمرت يا أم سالم؟!!

ما شاء الله.. تقبل الله..

- منا ومنك إن شاء الله.

- إيه.. يا أم سالم..

كم تتوق نفسي للعمرة..

اشتقت لبيت الله وللصلاة فيه..

أعـــوام طويلة مـــرت.. منذ آخر مـــرة اعتمرت فيها..

- يعلم الله أنــني تمــنيت وجــودك معي هناك..

- بارك الله فيك يا أم سالم.. وحفظ لك أبناءك وبارك فيهم..

- لكن ما هذا الهدوء يا أم خالد؟!

ليس من عادة بيتكم أن يكون هادئًا.. ألا يوجد سواك في المنزل؟!

- كلا.. لا يوجد سواي..

- وأين خالد والأولاد؟

- ذهبوا للبر منذ الصباح..

- ولماذا لم تذهبي معهم.. لا تقولي بأنها رفضت..

- لم يعـرض علي الـذهاب معهم.. وهـذا يعني أنها لا تريدني أن أذهب..

- لكن هذا لا يجوز..

إلى متى تصبرين على هذه الحال؟!

ثم أين خالد؟!

كيف يسكت على تصرفات زوجته؟!!

- ومن يقول لك إنه يدري أصلاً؟

هو يظن أنـــــــني أنا من لا أرغب في الخروج أبدًا..

لقد عاهــــــدتها على أن أتركها تحيا كما تشاء.. وأن لا أتدخل في شـئونها أو شـئون بيتها وأولادها..

بل إنني أصبحت أفعل ما تريده مني..

أعيش كما تريد..

آكل ما تريد.. وأشرب ما تريد..

أخــرج مــتى ما أرادت.. وأبقى مــتى ما أمرت..

كل ذلك مقابل أن توافق على العيش معي.. وأن تتركني أتمتع برؤية ولـدي أمـام

ناظري..

كـانت عبارتها الأخـيرة متقطعة خافتـة.. وممزوجة بنشـجيها الـذي أخذ يـزداد شـيئًا فشيئًا وسط حوقلات صاحبتها..

- أحيانًـــا.. أشـــتهي شـــيئًا من طعامنا القـــديم.. وأود لو أذوق منه ولو لقيمـــات قليلـــة.. لكن.. حـــتى المطبخ منعتـــني من دخوله أو لمس غرض من أغراضه..

أنا لم أطلب منها يومًا أن تصنع لي شيئًا محـــددًا.. فما أريـــده وأشـــتهيه سأصـــنعه بنفسي.. فقط لو تسمح لي..

لكن..

حسبي الله ونعم الوكيل..

تصوري يا أم سالم..

منذ أن خرجوا منذ الصباح البـاكر وحـتى الآن.. لم أذوق لقمة واحـــــدة.. اللهم بضع تميرات قلائل وجدتها في ركن المطبخ..

وأخشى لو صـنعت لي شـيئًا لآكلـه.. أن تغضب وتقيم الدنيا فوق رأسي..

- لا يا أم خالد.. لا..

لقد تجاوز الأمر حده..

ليس من المعقـــول أن تظلي طـــوال

اليوم بلا طعام خشـية من غضـبها وحنقهـا.. رغم أنه كـان من الـواجب عليها أن تعد لك شـــيئًا لتأكليه على الأقل ما دامت ستقضي طوال النهار خارج المنزل.

اسمعي يا أم خالد..

الآن وحالاً.. تقـومين وتصـنعين لك شـيئًا لتأكليه..

لابد أن تأكلي شيئًا.

- لكن يا أم سالم..

- لكن ماذا؟!

لا تقولي أخشى غضبها..

الـــبيت بيت ولـــدك.. وهو بيتك وبيت زوجك رحمه الله قبل أن يكـــون لولـــدك وزوجته..

ثم أنك لن تصــنعي شــيئًا يــذكر ســوى وجبة بسيطة من الطعام.. يعـود كل شـيء بعدها إلى حاله..

هيا يا أم خالد.. هيا..

اذهــبي واصــنعي لك شــيئًا لتأكليــه.. وسأتصل بك بعد العشاء لأرى ماذا صنعت..

- أترين ذلك يا أم سالم؟

- أجـــل.. وليس غـــيره..، فليس من المعقـــول أن تظلي جائعـــةً إلى حين

عودتهم..
ثم أنهم لن يعـــــودوا قبل أن يملئـــــوا بطونهم بما لذ وطـاب.. وسـتبيتين ليلتك بلا طعام..
- حسنًا يا أم سالم..
سأفعل ما ترين..
- وكما قلت لـــــــــك.. سأتصل بك بعد العشاء لأرى ماذا فعلت..
في أمان الله..
- في أمان الله..

* * *

بقلق..
مضت نحو المطبخ..
وبخوف..
أخـذت تبحث عما تحتـاج لإعـداد طعامها المفضل...
لكن...
ومع انهماكها في العمل..
كـادت المتعة أن تـذهب مشـاعر القلق والخوف في داخلها.. فلم يعد لها أي أثر..
استمتعت كثيرًا وهي تُكسر رقـائق الــبر بين يــديها وتضـيفها إلى قــدرٍ تــوزعت فيه قطع قليلة من اللحم وشيئًا من الخضار..

تركت الطعام ليتم نضجه.. وذهبت لأداء فريضة العشاء بعد أن أعادت ترتيب المكان كما كان وأحسن وشعور بالسعادة والنشاط ينتشر في داخلها..

وما أن أتمت صلاتها.، حتى سمعت أصوات أحفادها المختلطة بفرح تعلن عن عودتهم.. فمضت نحو المطبخ لتحضر الطعام الذي زادت في كميته حتى يشاركها أكله ابنها وأولاده..

عندما دخلت المطبخ.. كان الموقد خاليًا.. ولا أثر للطعام فوقه!!

بحثت في الثلاجة..

لكن أيضًا لا أثر!!

- عن ماذا تبحثين؟

جاءها صوت زوجة ابنها بنبرته القاسية المعتادة..

أبدًا يا ابنتي.. لكنني كنت قد صنعت شيئًا من الطعام قبل قليل.. وتركته هنا على الموقد..

ابتسمت زوجة ابنها على غير المعتاد وهي تسأل:

- وهل تريدينه؟

- أجل يا ابنتي..
فأنا لم أذق شيئًا منذ الصباح.. ورأيت أن أصنع بعض الطعام.
- ولم. لا؟!!
ابتسمت العجوز ورعشة الخوف تغطي ملامحها ثم سألت:
- فأين هو يا ابنتي؟
- هنا...
وأشارت بيدها إلى صندوق النفايات حيث كان الطعام منتثرًا.. وأبخرته لا زالت تتصاعد حاملة رائحة النضج!!!
ألجمت الدهشة العجوز.. وخنقت صوتها العبرات.. ومضت تجر خطواتها بوجوم إلى حيث غرفتها..

* * *

لم يمض طويل من الوقت حتى جاء صوت خالد مناديًا أمه، التي سارعت بمسح دموعها قبل أن يراها.
- أمي؟
هل أنت مستيقظة؟
- أجل يا بني..
- أم سالم تريدك على الهاتف..

- حسنًا يا بني..

استوت جالسة على فراشها.. ثم رفعت سماعة الهاتف ليأتيها صوت أم ســالم على عجل..

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام ورحمة الله..

- ها يا أم خالد..

بشّرى..

كيف كان الطعام؟

لم تجب أم خالــد.. غــير أن نشــجيها المكتـــوم أخذ يتعـــالى وسط دهشة من صاحبتها..

- أم خالد!!

ما بك؟!

أم خالد.. أجيبي..

أحصل ثمة مكروه؟!

- كلا يا أم سالم..

كلا..

لم يحصل أي مكروه..

- إذا ما بك؟!

لماذا تبكين؟!

تنهدت العجوز بحسرة.. ثم قالت بصوت

خافت مجهد..

- صنعت الطعام يا أم سالم..

لكن..

بينما تركته ليتم نضــجه وذهبت لأصــلي العشاء.. كانت قد عادت.. ورأيته..

- وماذا قالت؟

- لم تقل شيئًا..

- إذًا ما الذي حدث؟!!

- عندما بحثت عن الطعام لم أجده..

لأنها..

لأنها كـانت قد ألقته بكامله في صـندوق النفايات..

- أعوذ بالله!!

أعوذ بالله!!

أي قلب يحتويه صــدر هـذه المـرأة؟!!، وأي جسد يحتمل روحها الشريرة؟!

لا حول ولا قوة إلى بالله..

لا حول ولا قوة إلى بالله..

- لا أدري ما الذي بين وبينها..

الله يعلم أنني لم أؤذها قط.. ولم تسمع مني يومًا ما تكره..

أعيش ذليلة منكســرة في بيــتي.. ومع

ذلك لا ترضـــى.. لا أدري ما الـــذي تريـــده مني..

لقد سـئمت الحيـاة بسـببها.. وبت أنتظر الفرج من الله..

- لا عليك يا أم خالد..

لا عليك..

اصـــبري وتـــوكلي على اللـــه.. والله لن يضيعك..

إن الله يمهل ولا يهمـــــــل.. وإن لم تتب وتهتـــدي.. فســـتنال جزاءها إن عـــاجلاً أو آجلاً..

فقط تـوكلي على اللـه.. وفوضي أمـرك إليه..

- ونعمى بالله..

- اسمعي يا أم خالد..

غـــدًا عند الضـــحى بـــإذن اللـــه. ســـآتي لزيارتك.. وسأجلب معي أحب الطعـام إلى قلبك.

- جزاك الله كل خير يا أم سالم..

لكن لا داعي لذلك.. لا تكلفي نفسك..

- أي كلفة يا امرأة؟! الأمر هين..

ثم إنني أصلاً مشتاقة لرؤيتك والجلـوس

معك..

- حياك الله في أي وقت..

- إلى الغد إذن يا أم خالد..

في أمان الله..

- في أمان الله..

أسندت العجوز جسدها إلى فراشها، ودمعات سخيفة لم تزل تنهمر من عينيها..

أحست بقهر وحزن بالغين يتنازعان روحها المجهدة بينما لسانها لم يتوقف عن شكوى حالها لخالقها..

* * *

كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف صباحًا حينما استقلت أم سالم سيارة ولدها في طريقها إلى منزل أم خالد..

عدد كبير من السيارات كان يحيط بالمنزل أثار استغراب كل من الولد وأمه..

- هل هناك وليمة عند خالد يا أمي؟!!

- كلا لا أظن..

ثم حتى لو كان هنالك وليمة، فلن يجتمع الناس منذ الصباح هكذا..

- سنرى..

طرق سالم باب المنزل المفتوح.. وكان واضحًا أن ثمة جلبة غريبة تأتي من داخله..

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
- وعليكم السلام ورحمة الله..
- كيف حالك يا خالد؟
- بخير..

بخير ولله الحمد..

كـــان صـــوت خالد متحشـــرجًا خافتًـــا.. وحمرة واضحة تغمر عينيه..

- ما بك يا خالد؟

هل أنت متعب؟

لم يجب خالد..

لكن عينـاه المترقرقتـان بالـدمع.. نبـأت بأن ثمة مكروه قد حصل..

- خالد!!

ما بك؟!!

الوالدة بخير؟؟

هل هي موجودة؟

أطرق خالد برأسه وهو يهزه بالنفي..

- إذن فأين هي؟!!
- الوالدة توفيت يا سالم..

وجدناها فجر اليوم وقد فارقت الحياة..

- ماذا؟!

التفت الابنـــان على صـــرخة أم ســـالم الفزعة.. بينما سقط قدر الطعـام من يـدها متناثرًا على الأرض.

- تمت بحمد الله -

أكبر من الحب

* «أنا لم أعد أريد الحب وحده...

* أنا أحتاج المودة..

* أحتاج الرحمة..

* وأتـــوق إلى زوج مســـئول أأنس به ويأنس بي..

* أريد رجلاً يشـــــعر بي ويحـــــترم مشاعري..

* أريد زوجًا يكـون لي سـكنًا وأكـون له كذلك..

* فهل أخطأت الاختيار؟؟

أكبر من الحب

حالمة..

عاطفية..

وجياشة المشاعر..

هكذا كنت..

ولهذا عانيت..

كــــانت عـــــواطفي القوية الجياشة لا تتناسب مع جو الحيــاة الــتي أعيشــها بين والدي وأفراد عائلتي والــتي تخلو من جميع ألــــوان العاطفــــة..، فلقد كــــانت التربية والرعاية في نظر والــدي تتمثل في مجــرد تلبية الحاجات الجسدية من مشـرب ومأكل وملبس..، وتوفــير الــوقت اللازم للنجــاح الدراســـي.. من دون أن يعـــيرا أرواحنا ما تحتاجه من محبة.. ومودة.. وحنان.

لا أذكر أن والدتي ضمتني إلى صدرها أو قبلتـــــني بحنـــــان منذ بلغت السادسة من عمري..

والدي هو الآخر.. كـان يبخل علينا جميعًا بمســـحة حانية من كفه الـــتي يرهقها في سبيل توفير الحيـاة المريحة لنـا..، رغم أنها كانت ستعني لنا الكثير.. وتغنينا عن الكثير..

حـــتى الكلمـــات الحنونة الـــودودة.. والأحـــاديث الأبوية الموجهـــة، لم يكن لها مكان في حياتنا إلا نادرًا جدًا.. جدًا..

وليت والـــدي – عفا الله عنهم – عوضا ذلك النقص المهم بتربية دينية عقائديـــــة.. تحمينا من شـرور الحيـاة وفتنهـا.. بل حـتى

هــذا الأمر الجــوهري لم يشــغل ذهنيهما إلا من حث خـــال من الـــروح على الصـــلاة والصــوم جعلنا نؤديهما على ســبيل العــادة الثقيلة..، مهملين ســواهما من أمــور الــدين الهامة..

فراغ روحي..

وفراغ عاطفي..

وفراغ فكري..

مقابل زمن قـــاسٍ.، وسن صـــعب..، وعقلية مضــطربة.. فمــاذا عســاها تكــون النتيجة يا تُرى؟

* * *

(1)

كل ما حولي كان يوحي الحب!!

كل ما أراه وأســمعه وأقــرأه.. يصــور الحب..

شــعورٌ جميــل..، لاقى قبــولاً في روحي الحـائرة العطشـى..، ووسـائل نشر الـوعي والثقافة المعتمـدة..، علمتـني أن الحب هو أجمل ما في الحياة على الإطلاق.. وبدونـه؛ تنعدم السعادة ويستحيل الأمان..

كنت أتصــور نفسي في كل مسلســلة..،

ومع نغمـات كل أغنيـة..، وبين سـطور كل كلمات تضج بالعاطفة..

ومع مرور الوقت..، مللت الخيال..، ومع نغمات كل أغنية..، وبين سطور كل كلمـات تضج بالعاطفة..

ومع مـرور الـوقت..، مللت الخيـال..، ورغبت في الواقع..

أردت أن أجرب الحب الذي يقولون..

أردت أن أعيشه..

أردت أن أشعر به..

لكن كيف؟!!

كيف؟؟!!

*   *   *

(2)

زميلتي في الصـف.. والـتي أقضي معها معظم أوقـاتي في المدرسـة، كـانت أصـغر إخوتهـا..، وكـان لها شـقيق يكبرها بثلاثة أعوام.. تدور حوله معظم أحاديثها اليومية..
كنت في البداية أستمع إليها بشـكل عـادي، كاستماعي لأية أحاديث أخرى..، لكنني ومع مـرور الـوقت، أصـبحت أنتظر أحاديثها تلك بشـغف.. وأشـعر بمتعة كبـيرة وأنا أسـتمع

إليهــا، حــتى أنــني كنت أتمــنى أن لا تنتهي أبدًا!!!..

وذات يــوم.. قــالت لي زميلــتي والــتي أصبحت أعز صديقاتي أن شـقيقها يـدعوني بالخجولــة..، لأنــني دائمًا ما أطلبها بصــوت خجول وهادئ عندما أتصل بها هاتفيًا!!

شعرت بفرحة غامرة لذلك الإطراء رغم أنه كان بسيطًا جدًا..، لدرجة أنـني أصـبحت أتعمد الاتصــال بها في الأوقــات الــتي أعلم يقينًا أنه سيكون في المنزل!!

وشيئًا فشيئًا..

بــدأت أحس بشـعور غـريب يتطـور في داخلي.. لم أميزه في بداية الأمر..

لكنني أدركت فيما بعد أنه هو!!

هو الحب!!!

* * *

(3)

ذات يوم...

وبدون أية مقدمات..، أعطتني صـديقتي ورقة أنيقـة.. بقيت مذهولة مما فيها طـوال اليـــوم.. فقد كـــانت رســـالة تقطر عذوبة وعاطفة من شـــقيقها الـــذي لم أعـــرف له شكلاً بعد..، ولم يكن ذلك يشغل ذهني.. ما دام أنه يحمل لي الحلم الذي أردته دومًـا..؛ وهو أن أجرب الحب وأعيشه..

*　*　*

مـــرت الأيـــام ونحن نتبـــادل الرســـائل والمكالمات الهاتفية..

كنت أشـــعر أنـــني في قمة الســـعادة حينها.. وكأنني ملكت الدنيا بما فيها.

لم أكن أشـــعر بتـــأنيب الضـــمير أبـــدًا.. فأعوام عمري الخمسة عشر والـتي تحـوي الانـــدفاع والرغبة في الإحســـاس بالـــذات، ساعدتني على الاستمرار فيما أنا فيـه.. من دون أية لحظة تفكـير.. أما العقيـدة الهزيلة في داخلي، فلم تكن لتســـتطع أن توقفـــني عما أنا فيه..، خاصة وأنني محاطة بوســـائل عديـــــــدة، تـــــــؤجج العاطفة في داخلي

وتشجعها..

وبقيت على تلك الحـــال عامًا كـــاملاً.. انتهى بـأن أكتشف والـدي أمـري..، وكـانت النتيجة بــالطبع بضع كــدمات على وجهي..، وأثار حارقة للعقال في أنحاء جســدي.. من دون أن توجه لي أية كلمة سوى شــيء من السباب.

* * *

وهكذا..
انتهت قصة حـــــبي الأول.. بـــــدون أية مقاومة أو تحـــــدٍّ..، رغم أنـــــني كنت على اســـــتعداد لـــــذلك!!، فلقد تعلمت أنه لكي نشـــــــــعر بطعم الحب الحقيقي، لابد أن نعاني.. وأن نضحي بـأي شـيء!! أي شـيء على الإطلاق!!
وبعدها.. كل الأمـور ستتحسـن، وتمضي الحياة على أجمل ما يكون..
لكن..
كـان من أحببته مراهقًا صـغير السـن، روعته كلمات والدي المتوعدة عبر سـماعة الهـاتف.. فلم أسـمع له صـوتًا بعـدها.. أو يصلني منه خبر..

* * *

(4)

مر عامان منذ ذلك الوقت..
ومع بداية العـام الثـالث.. عـاد الحب ليطرق باب قلبي من جديد!!
كنت في زيارة لمنزل أحد أقاربي.. أغدو وأروح.. بلا عبـاءة، أو حـتى غطـاء على رأسـي.. فـذلك كما يقـال للضـيوف عـادة:

أريح وأخف.. والدار أمان!!
وفي أحد الممرات الهادئة في المـنزل.. لمحته ولمحني!!
كنت في كامل زينـــتي وأنـــاقتي..، وهو شاب وسيم، في العشرين من عمره..
لم نحتج مزيد من الـــــــوقت لكي ينفذ السهم في قلب كل منا..، ولم تمض بضـعة أيام.. حتى أخبرتني شقيقته عما في قلبـه.. والذي كان قد ولد في قلبي هو الآخر..

* * *

اســـتمرت علاقـــتي بقريـــبي هـــذا ثلاثة أعــــوام.. كنا نتبـــادل خلالها الرســـــائل بانتظـــــام..، وعنـــدما حصل على وظيفية يكسب منها دخلاً شهريًا..، قررنا أن يتقــدم لخطبتي فورًا..
والحقيقة أنـــني كنت أشك في أن يقبل والدي به زوجًا لي.. فلقد كان شابًا عاديًا..، عاديًا جـدًا..، حـتى أنه كـان مـدخنًا، وكثـير السـهر..، لكنـني لم ألق لتلك الأمـور بـالاً.. لأنــــني كنت أؤمن بــــأن الحب يصـــــنع المعجزات..، وعلى يقين من أنني أســتطيع تغييره من شـاب مسـتهتر.. إلى رب أسـرة مسئول..

وتقدم لخطبتي فعلاً..

وتردد والدي في قبوله كثيرًا.. لكن نظرًا لصلة القرابة القوية التي تربطه بوالده..، ووعود أبيه المستمرة بأن يتغير وينصلح حاله..، فقد وافق والدي أخيرًا.. وتم الزواج...

* * *

كانت أشهر زواجنا الأولى من أسعد أيام حياتي على الإطلاق، فلقد كان زوجي في منتهى الود واللطف..، حتى أنه لم يدخن أمامي سيجارة واحدة طوال تلك الفترة!!، وعندما أخبرته عن رغبتي في أن يترك التدخين..، وعدني خيرًا.. وقال إن الأمر يحتاج فقط إلى شيء من الوقت والصبر..

لكن الحقيقة جاءت عكس ذلك تمامًا..، فبالرغم من مرور الكثير من الوقت والصبر.. إلا أنه لم يترك التدخين أبدًا.. بل إنه عاد إلى سابق عهده من غياب وسهر طويلين، تاركًا إياي أكابد الوحدة والوحشة.. حتى وأنا في أيام حملي الأخيرة..

* * *

كنت أظن أن قدوم طفلتنا سيؤثر على زوجي ويجعله يفكر في اتساع المسئولية

التي تقع على عاتقه وأهميتها.. لكن أيضًا لا فائدة..

ظل تمامًا كما هو..

بل إنه أصبح قاسيًا عنيفًا... وأحال حياتنا إلى جــدال دائم، وجحيم لا يطــاق..، فهو لا يريد أية كلمة عتاب أو نصـيحة.. وأي انتقـاد لتصرفاته، والذي دائمًا ما اتبع فيه الأسلوب الهــادئ والمســتجدي لابد وأن يـــرد عليه بصراخ وخصومه تستمر لأيام وليال..

لقد بدا لي مع الأيام إنسان آخـر..، رجل غـريب..، لا تجمع بيـني وبينه أية صـفات أو هموم أو آمال.. أو حتى عواطف..

إنســان ليس له هم في حياته ســوى أن يعيش كما يحب ويشـــــــتهي بين رفاقه وســهراته.. أما عائلتـــه، ليس لها ســـوى القليل من وقته واهتمامـــــه، تبعًا لمزاجه ورغباته..

في حين أن العائلة بالنســبة لي هي كل شيء..، أهبها كل ما لــدي من وقت ورعاية ومحبة في رضا وسعادة..

لكنني أدركت أن ذلك أمرًا مســتحيلاً مع إهمــال زوجي الــدائم لبيته وطفلتــه.. ولي

أنا.. زوجته..

لم أحتمل تجاهله التـــــــــام لي كزوجة ورفيقة درب، من المفــترض به أن يحــترم عقلها وقلبها ووجودها في حياته دائمًا، وفي كل وقت.. وليس فقط مـــــــــتى ما أرادها واحتاجها..

كثيرًا ما عاتبته..

كثــيرًا ما ســألته عن ذلك الحب الكبــير الــذي كــان بيننــا..، وعن وعــوده الأكيــدة بالحياة السعيدة..

عن الآمــال الــتي بنيناها ســويًا..، وعن الأسرة الرائعة التي عزمنا على تكوينها..

لكنه كان دائمًا يتركني بلا إجابة..

وعندما أجابني..

جــاءت إجابته جارحة قاســية، تســتهتر بعواطفي..، ومشاعري، وكياني..

«أي حب هذا الذي تتكلمين عنه؟!!

ألا تخجلين من نفسك؟!

متى ستكبرين؟!

إلى متى تظلين مراهقة حالمة؟!!

نعم.. نعم أحببتـــــك..، وحصل ما أردت وتزوجتك، وها أنت الآن أمًا.. فمـاذا تريـدين

بعد؟!!

لمــــــاذا تصــــــرين على أن تظلي دائمًا عاشـقة معشـوقة، وتنسـين أنك الآن زوجة وأمًا مســــئولة، يجب أن لا يشــــغل ذهنك سوى منزلك وطفلتك..

اكبري يا امرأة.. اكبري!!».

* * *

في كل مرة أتـذكر فيها كلماته القاسـية تلك، أشعر بها وكأنها صفحات حارقة تنهـال على وجهي، وتهين قلبي وروحي..

أأكـــون مراهقة لأنـــني أطالبه بحـــبي ورعايتي أنا وطفلتي؟!

أأكون حالمة لأنـني أريـده أن يعـود ذلك الإنسان الودود العطوف الذي كان يومًا؟!!

أنا لم أعد أريد الحب وحده!!

أنا أحتاج المودة..

أحتاج الرحمة..

وأتـــوق إلى زوج مســــئول.. أأنس به ويأنس بي..

أنا لست في حاجة إلى خيــــال زوج لا يعـــــــرف بيته إلا وقت القيلولة أو قبيل الفجر..

أريد رجلاً يشعر بي ويحترم مشاعري..
أريد أبا لطفلـــــتي.. يلاعبها ويرعاهـــــا.. ويحميها..
أريد زوجًا يكـــون لي ســـكنًا وأكـــون له كذلك..
فهل أخطأت الاختيار؟؟

* * *

أنا الآن في غرفـــتي الخاصة في مـــنزل والدي..
مطلقـــــة.. في الرابعة والعشـــــرين من عمري..
أحيانًا.. عندما استعرض حياتي الماضـية، أشعر بحزن وغضب بالغين..
حـــزن على نفســـي..، وغضب على من حولي..، أولئك الذين أهملـوا روحي وقلـبي وعقلي.. وتركوني أواجه فتن زمـان قـاسٍ لا ترحم.. بلا عون أو حماية..
لكنني أعود بعـــدها.. فأحمد الله على أن وهبني الهداية والبصيرة التي جعلت لحياتي معـنى وغايـة، رغم ما مـررت به من تجربة فاشلة وقاسـية كـادت أن تـزرع في نفسي اليـأس والقنـوط إلى الأبـد..، وأدعو الله أن

يغفر لوالدي إهمالهما وتقصيرهما الذي قادني إلى كثير مما حصل وكان..

الآن..

وبعد أن اتسع فكري ونضجت عواطفي.. أدركت كم كنت تائهة ساذجة..، وأيقنت بأن الحب ليس سوى حلم تافه لا قيمة له في حياة الإنسان – خاصة المسلم – خارج إطار الزواج.. وأنه كان من الأفضل لي أن أشغل عواطفي المهدرة وأشبعها بأمور تنفعني في ديني ودنياي..

فأين كنت من محبة الله عز وجل؟؟!

أين كنت من محبة رسول الله ﷺ؟!

أين كنت من محبة السلف الصالح وخيرات الأمور؟!

لقد زرعت فكرة الحب القاصر الخاوي في أذهاننا لدرجة أنها شغلت عقولنا وانحرفت بعواطفنا إلى ما لا ينفعنا في ديننا أو دنيانا..

بل وأصبح الحب عن البعض غاية يطمحون إليها.. وهدفًا يسعون إلى تحقيقه.. فقصرت العقول.. وأنهكت الأفئدة..، وانتشرت الأخطاء..

لقد أيقنت عن تجربــة.. بــأن الحب قبل الـزواج لا تـأتي قوته أبـدًا إلا من خـواء في الــروح..، وخلل في العقــل..، وفــراغ في القلب.. ثم إذا ما حدث الـزواج – إن حـدث -..، ذهبت السكرة، وجاءت الفكرة..، وبـرد الحب الزائـــف..، وأتى دور الحب الحقيقي الـذي لا يفـتر..، بل تظل تؤججه دومًا أيـام العشرة الطيبة والاحترام المتبـادل.. والـتي لا تنتج إلا من حسن الاختيـار الـذي يقـرره العقل لا العاطفة..



عنـدما أنظر إلى طفلـتي..، وأرى بـراءة وجهها وصـفاء روحهـا..، أسـعد بهبة الله لي حين رزقــني إياهــا.. وأجــدد النية على أن أرعاها وأحميها من كل ما قد يشـوه براءتها أو يعكر صفاءها..

ســأعمل – بــإذن الله – على أن أمنحها كل الحب.. وكل الحنـــان.. مع كل الرعاية وأقصى الحماية..

وســـــأجاهد – بعـــــون الله – على أن أسـاعدها في حفظ قلبها مقفلاً على كل ما يحتويه من مشاعر طاهرة.. صادقة وبريئـة،

إلى أن يـــــأتي من نرضى خلقه ودينــــــه.. فيملك حبها الذي يستحقه..

- تمت بحمد الله -

قبل الاختيار

«قبل التجربــة.. يظنــون أن مثل هــذا الكلام فلســـفة وكلام عقل بحت يصـــعب تطبيقه على طبيعة البشــر..، ويحتــاج لكي ينفذ إلى أتقيــاء من زمن الســلف!!.. وبعد أن يخوضوا غمارهـا.. ويكتشـفوا أسـرارها.. يسلموا بـرأي العقـل، ويعـودوا للعمل بـه.. بعد أن يضـحوا براحة واسـتقرار أبنـاء ليس لهم ذنب ســـوى أن آبـــاءهم قد أســـاءوا الاختيــــار.. وقد كـــانوا يملكـــــون حسن القرار..»

قبل الاختيار

كثيرًا ما كانت فاطمة ابنة خالتي تحدثني عن رغبتها في أن أكون زوجة لأخيها أحمد.. والحقيقة أن رغبتها تلك لم تكن لتكرهها نفســـي.. فأحمد شـــاب ملـــتزم، ذو خلق ودين.. وهو من خـيرة شـباب العائلة إن لم يكن أفضلهم..

لكنني تفاجأت كثيرًا عندما سمعت بخـبر

خطبته لابنة عمـــــــــه.. وليس ذلك لأنه لم يخطبـني أنـا.. كلا.. ولكن لأن ابنة عمه تلك – والـتي أعرفها جيـدًا – فتـاة عادية جـدًا.. أقصد من الناحية الدينيـة.. بل إنها – هـداها الله – تتجـاوز الحـدود كثـيرًا، وعليها الكثـير من المآخذ في شكلها وتصرفاتها..

عندما سـألت فاطمة عن ذلك قـالت لي بأن أحمد يرغب في الزواج من فتـاة جميلة تغض بصره!!

فسألتها:

- وماذا عن دينه؟!!

ألا يريد زوجة صـــالحة تعينه على أمـــور دينه وتربية أبنائه التربية الصالحة السوية؟!

- يقـــول بـــأن أهم شـــيء عنـــده أنها مسلمة!! تصلي وتصوم!!

وباقي الأمور من الممكن تغييرهـا.. لكن الجمـــال شـــرط أساسي لا يمكن التنـــازل عنه!!

لكنـــني لا أخفي عنك أنـــني أخشى هـــذا الـــزواج كثـــيرًا.. فنـــوال ابنة عمي.. وأنا أعرفها جيـدًا.. فتـاة مدللة وذات شخصـية قويـــة.. ولا أظن أنه من الســهل تغييرها إلا

أن يشاء الله..

لقد سبق وأن حدثتها كثيرًا عن تجاوزاتها، ونصحتها بالحكمة والموعظة الحسنة علها تتغير وتهتدي.. لكن لا فائدة.. دائمًا ترد علي باستهتار ولا مبالاة..

صدقيني يا ابنة خالتي.. نوال ليست الزوجة المناسبة لأحمد..

وأخشى بدلاً من أن يغيرها.. أن تغيره هي..

- الجدير بشخص كأخيك أن يحرص على الزواج من ذات بأحكم رأي من وصية سيد الأنبياء والمرسلين حين قال: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»..

لكن من يدري.. قد يكون في الأمر خيرًا لنوال بالذات.. ويكون هذا الزواج سببًا في هدايتها..

- أرجو ذلك..

صمتت فاطمة قليلاً ثم قالت وقد بدا عليها الحرج:

- حتى أمي لا ترغب في هذا الزواج.. بل إنها أخبرت أحمد صراحة بأنها تتمناك أنت زوجة له..

- لكنه اختار نـوال.. ولا ألومه في ذلـك.. فنوال تملك الجمال الـذي يغض بصـره كما يريد..
- لكنك أنت من يناسبه..
- أنت ترين ذلك لأنك دائمًا تتمنين زوجة له..
- وأنت..
ألم تتمني أن تكوني زوجة لأحمد يومًا؟
- أنا لم أتمـنى أحمد كشـخص محـدد.. وإنما تمـــنيت شـــخص أحمد تحت أي اسم كان..
المهم أن يكـــــــــون من أتزوجه رجلاً صالحًا.. يخاف الله فيَّ، ويعينني على أمور ديني ودنياي.. ويقدم رضا ربه ودينه قبل أي رغبة من رغبات نفسه..
وهذا ما أرجوه وأتمناه..
- أرجو من الله أن يرزقك ما تتمنين..
- وإياك.. فكما أن خير متاع الدنيا المرأة الصـالحة.. فالرجل الصـالح أيضًـا هو أكـبر نعمة من نعم الدنيا تحصلها إحدانا..

* * *

بعد أن غـادرت فاطمـة.. لا أدري لمـاذا

أخذت أنظر إلى نفسي طويلاً في المرآة.. أتأملها.. وكأنني أراها لأول مرة..

أغلب من يريـدون الـزواج من الشـباب يرغبون بزوجة جميلة حتى تغض أبصارهم..

لكن ماذا عني ومن هن مثلي ممن ليس لهن من الجمال سوى حظ يسير..

هل نجد من لا يـزال يـرغب في المـرأة لدينها مقدمًا إياه على كل ما سواه؟!!

العديد من الشباب رفضتهم لأنني أرغب في صاحب الخلق والـدين..، لكن مـاذا عن أصحاب الخلق والدين أنفسهم؟

هل لا يزال من بينهم..؛ أولئك الـذين هم حلم تقف عند مرافئه آمالنا وطموحاتنا في تكوين أسرة مسلمة من يـرغب في إحـدانا لـدينها فقـط.. غـير مبـال بكافة الأمـور الشكلية الأخرى التي ليست لإحـدانا فيها يد أو خيار؟!!

سؤال.. تتردد عنده الإجابات كثيرًا..

* * *

مـرت سـبعة أعـوام منذ تـزوج أحمد بنـوال.. ومنذ ذلك الحين والأمـور بينهما تسـير من سـيِّئ إلى أسـوأ..، خاصة في

الأعوام الأخيرة..

أخبرتني فاطمة بأن صبر أحمد بدأ ينفذ على زوجته، وقد مل من عنادها وتسلطها المستمرين..

وفي زيارتها الأخيرة.. لمست مدى سوء الأوضاع بينهما لدرجة باتت تنبئ بأن قرارًا خطيرًا قد يتخذ في الأيام القليلة القادمة..

- سمعته وهو يخبر والدتي عن عزمه على الطلاق..، خاصة بعد أن طلبت نوال ذلك بنفسها وأصرت عليه..

- أوصلت الأمور إلى هذه الدرجة؟!!

- بل وأكثر من ذلك..، فتجاوزات نوال لم تعد مقتصرة على نفسها فقط..، بل تعدتها إلى أبنائهما والذين تعمد إلى تربيتهم بطريقة تتعارض تمامًا مع طريقة أحمد، وتزعزع كل ما يحاول غرسه فيهم من أمور جوهرية وهامة لا تعيرها هي أي اهتمام..، وهذا ما لم يستطع أحمد تحمله والسكوت عليه.

ثم إن المشكلة بين أحمد ونوال لا تكمن فقط في الاختلاف الكبير بين شخصيتيهما وطريقة تفكيرهما..، بل هي تأتي من عناد

نــوال الــدائم وتســلطها الــذي يتجــاوز كل الحدود..

أحيانًـا.. ولا أبـالغ إن قلت غالبًـا.. ألاحظ أن أحمد يحاول فرض حلول وســط، ترضي – إلى أحد ما – كلاًّ منهمـــا.. لكنها تـــرفض مباشـــرة.. أشـــعر أنها تتصـــرف وكأنها في حـرب!!.. وتعتـبر أي محاولة لتقـريب الآراء ووجهات النظر بينهما مؤشرًا للهزيمة!!

- ألم تحاولي الحديث معها؟

- أكـثر من مـرة..، وبـالأمس فقط كنت عنــدها أحــاول إقناعها بالعــدول عن فكــرة الطلاق.. لكن لا فائدة.. فهي – كما تقول – قد ملت الحياة مع زوج معقد رجعي!!

أتدرين..

تقول إنها عندما وافقت على الزواج من أحمـد، كـانت تظن أنها وخلال شـهر واحـد، ســـــــتغيره من رجل رجعي معقد إلى آخر عصـري متطـور.. ولـولا وسـامته ومنصـبه الوظيفي ما قبلت به..

لكنها اكتشــفت أخــيرًا أنها قد أســاءت الاختيار..

- كل منهما أساء الاختيار..

- لكن اللـــوم كله يقع على أحمــد.. فلو كـان فكر بعقله وتـرك عنه رغبـات نفسـه، لأدرك أن الجمـال الظـاهر أمر لن يلبث أن يعتاده ويملـه.. وأن جمـال المـرأة الحقيقي وســحرها الأبــدي يكمن في حلو عشــرتها وطيب خلقها، وقبل ذلك كله، حرصـها على طاعة ربها وأمور دينها..

- قبل التجربـــة، يظنـــون أن مثل هـــذا الكلام فلســـفة وكلام عقل بحت يصـــعب تطبيقه على طبيعة البشـــر، ويحتـــاج لكي ينفذ إلى أتقياء من زمن السلف!!

وبعد أن يخوضـــوا غمارهـــا، ويكتشـــفوا أســـرارها، يســـلموا بـــرأي العقل ويعـــودوا للعمل به بعد أن يضـــحوا براحة واســـتقرار أبنـــاء ليس لهم ذنب ســـوى أن آبـــاءهم قد أساؤوا الاختيـار.. وقد كـانوا يملكـون حسن القرار..

* * *

وبالفعل..

لم تمض سـوى أيـام قليلـة.. طلق أحمد بعـدها نـوال.. وبعد عـدة أشـهر..، زارتـني فاطمة وقد بـــدا لي من ملامحها أن هنالك

ثمة حديث هام تحمله إلي..

- من أين أبدأ لا أدري..، وكيف أبدأ أيضًا لا أدري.. لكنـــني أظن أنـــني ســـأبدأ في الموضوع مباشرة وبدون أية مقدمات..

- حيرتني معك..

عجلي بالحديث..

- حسنًا..

أحمد أخي.. يريد أن يتقـــــــدم لخطبتك وطلب مــني أخذ رأيك في الموضــوع أولاً.. فما رأيك؟

- أحمد؟!!

- نعم أحمد...

فكري على مهلك.. ولا داعي للعجلة.

صمت قليلاً ثم قلت:

- لكـــني أظن أنـــني لا أحتـــاج إلى وقت للتفكير..

ابتسمت فاطمة بفرح وهي تقول:

- ماذا تقصدين؟

هززت رأسي وأنا أبتسم في هدوء..

- كلا..

ليس ما فهمت.

- إذًا؟!!

- أعني أنني غير موافقة..
- ولماذا؟!!
- لا أدري..
أشـهر فقط بـأنني غـير راغبة في هـذا الزواج.
- لا بد من سبب..
ثم لابد من التفكير جيدًا قبل أن تقرري.
- هذا هو قراري.. وليس لدي سواه..
- هل للماضي علاقة بهذا القرار؟
- أتعـــنين عنـــدما فضل أحمد نــــوال واختارها؟
- أجل..
- لا أدري..
كل ما أعلمه وأدركه أنـــني لا أريد هـــذا الزواج..
وأرجـوك يا فاطمـة.. أنهي الحـديث في هذا الموضوع..
- كما تشائين..
قالتها فاطمة بهدوء..
بينما أخـذت أفكر بتركـيز أكـثر.. لمـاذا أرفض؟!!

* * *

رغم عـــــدم قنـــــاعتي التامة برفضي

لأحمـد..، إلا أنـني كنت راضـية ومطمئنـة.. ولم أشـعر بالنـدم بعـدها أبـدًا.. خاصة وأنه بعد أشـهر قليلة فقـط، زارنا شـاب ملـتزم طيب السمعة خاطبًا إياي..

وبالتأكيـد.. وافقت على الفـور، رغم أنه كان رقيق الحال، متوسط التعليم.. بعكسي أنا..

لكن.. كل الشـــهادات وكل الأمـــوال لم تكن لتساوي ذرة في نظـري أمـام ما كـان يتميز به من دين وخلق وطلب للعلم..

واليـوم ولله الحمـد.. يكـون قد مر على زواجي خمسة أعــــوام، قضـــــيتها في أتم السـعادة والاطمئنــان..، وقد رزقــني الله حـــتى الآن بطفلين.. أرجو منه عز وجل أن يصـــلحهما ويبـــارك فيهمـــا.. وأن ينفع بهما الدين والأمة..

- تمت بحمد الله -

الحنين

حتى لو توقف النزف..

حتى وإن التئم الجرح..

حتى ولو تلاشى الألم..

ســـتظل دومًا تلك الندبة الـــتي تحـــيي

الألم..، وتفتق الجرح.. وتجدد النزف..
ولو بعد ألف عام..

الحنين

عشرون عامًا من عمري مضت..
أين مكانك منها؟!!
عشرون عامًا من عمري مضت..
كم مرة ناديتك فيها؟!!
عشرون عامًا من عمري مضت..
لم يغب حنيني إليك فيها..
بل على العكس..
أظل أكبر على كل شيء..
إلا على حنيني إليك..
أظل طفلة تشـــــتاق إلى حضـــــنك المجهول..
أظل صرخة تشكو قسوة الحرمان.. في زمن اللامعقول..
وأظل غلطة تتكرر..
وسيظل الجلاد يتجبر..
يهوي بسوط الحرمان..
فيلهب مني الوجدان.
ترى؟!!
من يعيدني إليك؟!!
وقبل ذلك..
هل يقدر على إعادة الزمان؟!!

هل ينسيني مرارة الحرمان؟!!
هل يمحو أثار دموعي؟
أو يشفي عميق جروحي؟!!
في قلبي ألم..
وفي عقلي سأم!!
في بـؤرة التعب أحيـا..، ومن معين المر أسقى..
أتقلب في ليل الأرق.. ويرهق راحـــــتي القلق..
لأنني أبقي دائمًا..
أضعف من حنيني إليك..

* * *

طفلة كنت..
إلى منزل غريب أخذت..
قـــرار بضـــمي إلى من يُـــدعى لي أبًا صدر..، بلا مشورة أو تمهيد..
قرار خطير..، غير مجرى حياتي..، وكان بمثابة الموت لي!!
طفلة كنت..
لم أدرك من الحقيقة سوى قسوتها..
حقيقة قاسـية..، قابلتها بالصـمت نهـارًا، وبنحيب مكتــــوم ليلاً.. أكتمه بوســـــادتي

المشبعة بدموعي..
أيام مرة.. مـرت على قلـبي الصـغير، لا زلت أعجب كيف تحمل مرارتهـــا، وصـــمد أمام قسوتها..
أيام مرة.. كان الرفض الصامت لواقعي فيها يستحيل إلى هواجس حزينة..
ورغبــتي في نطق الـــ لا..، منعــني منها خوفي، فصرحت بها عبر أحلامي اليومية..
نـــداء أخـــوتي لأمهم في كل وقت كـــان يفجر في داخلي ألف شـــعور وشـــعور..، فأســـرع إلى زاوية في أقصى المـــنزل..، وأغمض عيـــــــــني بعد أن أتأكد من خلو المكان، وأردد:
أمي..
أمي!!
أظل أنـــادي خيالها البعيد حـــتى تغلبـــني دموعي، وتخف حدة مشاعري..
ثم أعود لحيـاتي بعـدها.. وكـأن شـيئًا لم يكن!!
وحديث صويحباتي في المدرسة..
أمي قالت..
أمي فعلت..

أما أنا..

فلم يكن لي أم تقول أو تفعل..

حتى إذا ما اشتعلت نيران الغيرة البريئة في داخلي، رحت أجـتر ذكريـات قديمة عن ماضــيَّ الجميل وأيــامي الســعيدة مع أمي الحبيبة..، وأســردها عليهن بتلهـف.. لأهـدي بـذلك نفسي المضـطربة، وأثبت لها أن هي أيضًا، تملك أمًا كالأخريات..

* * *

وكبرت..

وكبر حنيني معي..

لم تخف حدته.. أو تنطفئ شعلته..

أنظر إلى أترابي بأسً..

تلـك..، أمها تناديها فتوجههـا..، والأخـرى تهمس والدتها في أذنها..

أما أنا..

فلا أم توجهني أو تهمس في أذني..

أعوام مريرة عشـتها.. مضى العـام فيها كألف عـام..، ولم يكن نصـيب أمي الحنـون فيها سوى أيـام قلائـل..، لا أكـاد أشـبع فيها منها..

أيام قلائل..

كان يزفـني إليها شـوق جـارف.. وفرحة غــامرة.. ودقــات قلــبي الوله على طريق اللقاء تكاد تفتك به..

حتى إذا ما التقينا..

ومن نهر القرب استقينا..

قال الحرمان كفى..

وعـاد لينتزعـني من جديـد.. بلا رحمة أو هـوادة.. فـأعود مشـيعة بحـزني ودمـوعي المكتومة.. أقضي ليالي قاسـية.. تكـاد تنهد لقسوتها روحي، ويسكت من وحشـتها نبض فؤادي..

أيام قلائل..

هي نصيب من حملت وولدت!!

أيام قلائل..

هي نصيب من عانت وقاست..

أيام قلائل..

هي نصــيب من رقص قلبها لفــرحي..، وتفطـرت روحها لحـزني.. وقـرح محاجرها الدمع لبعدي..

إيه يا أمي الحبيبة..

ليتني ظللت جنينًا أنعم بالقرب منك!.

* * *

غدًا..
غدًا تكون ليلتي..
ليلة بكت فيها الفتيات..
إما خوفًــــــا..، أو خجلاً..، أو حزنًا على فراق الأهل، وتوديع منزل العائلة..
لكن أنا.. هل سأبكي؟!!
وإن بكيت..
هل ســــيكون لــــدموعي أي دافع من حزن؟!!
لا أظن..
فكيف أحزن؟!!
وللحزن سأفارق..
كيف أحزن؟!!
وفي الحزن كنت أعيش!
أعــوام قاســية من عمــري مضــت.. كقسوة أرواح البشر..
أعــــوام مظلمة من عمـــري مضـــت.. كظلمة أرواح البشر..
أعــوام موحشة من عمــري مضــت.. لم تبق فيها رياح الحقد ولم تذر..
فكيف أبكي؟!!
لم يبق في قلــبي لمثل هــذه المشــاعر

مساحة..
ليس كرهًا أو حقدًا..
حاشى وكلا..
فقلــبي لا يحتمل مثل هــذه المشــاعر البغيضة..
لكني بشر..
بشر وألهب ظهره الحرمان بسياطه..
مزق الشوق فؤاده..
سلبه الظلم حقًا ثمينًا في حياته..
فكيف أبكي؟!!

* * *

حتى لو توقف النزف..
حتى وإن التأم الجرح..
حتى ولو تلاشى الألم..
ستظل دومًا تلك الندبة التي تحيي الألم، وتفتق الجرح، وتجدد الــنزف.. ولو بعد ألف عام..
هل يــدرك الكــون ما معــنى الأم؟ وما معنى الحنين إليها؟!!
هل يعلم القسـاة.. قسـوة الحيـاة بعيـدًا عن عينيها؟!!
هل يعرفون لذة العيش بين يديها؟!!
عذرًا..

فلن أبكي..
ولن أذرف الدمع في غير حنيني إليها..

- تمت بحمد الله -